المحاضرة الثّالثة: الرّمزي اللّغوي

يقول سابير: «العَالَمُ مبنيٌّ وفق أنموذج اللِّسَان» تُحيلنا هذه المقولة على أهمية اللّغة الإنسانية في التّواصل بين بني البشر؛ فالإنسان يتواصل بالكلمات وهي مصدر قوّته وسلطته الفكرية، رغم وجود طرائق اتصال أخرى عند باقي المخلوقات؛ فالنّحل مثلا يتواصل بحركات الرّقص الذي لا يتحقق إلاّ بالمعطى البصريّ، في حين يكون الصّوت أعمّ من النّظر لأنّه سريع الانتشار في كل الاتجاهات، ومنه فإنّ اللغة الإنسانية المحكية هي مصدر غنى الخيال الإنساني الذي لا يمكن تجاهله، ونظرا للأهميّة التي تحظى بها الرّموز اللغوية سنحاول رصد مفهومها في هذه المحاضرة مع الوقوف على خصائصها، واختلاف وجهات النّظر حولها بين الطّرحين اللّساني والسّيميائي.

أولا: الرّموز اللغوية؛ ضبط المفهوم والخصائص:

تشير أدبيات البحث اللّساني المعاصر إلى أنّ مصطلح (الرّمز اللغوي) يقابل مصطلحات أخرى بديلة أهمّها:(الدّليل اللّساني (اللّغويّ) / العلامة اللّسانية).

1-الرّمز اللّغوي: ما دامت اللّغة نظاما معقّدا من الرّموز (un système des symboles) فقد أشار كل من أوجدن و ريتشاردز (Ogden et richard) انطلاقا من مثلّثهما الشّهير إلى أهمية الرّمز الذي يمثل عندهما الكلمة المنطوقة المرّتبة حروفها ترتيبا معيّنا. ويقع الرّمز في مقابل الفكرة أو المحتوى العقليّ الذي يستحضره الذّهن أي المدلول (le signifie) وفي مقابل المشار إليه أي المرجع (le référent) من ناحية أخرى[1].

2-العلامة اللّسانية (اللّغوية): هي وحدة لسانية مكوّنة من دالّ ومدلولــ، فهي أعمّ من الرّمز اللّغوي فهي تلك «العلامة التي اصطلح عليها النّاس لتؤدّي غرضا إعلاميا وإخباريا ما يندرج في إطار نظام دلاليّ خاصّ»[2] وسنأتي إلى شرح هذا المصطلح بتفصيل أدقّ في العنصر الموالي من هذه المحاضرة.

3-الدّليل/الأدّلة: الدّليل مفرد جمعه (أدلّة)، وهو في معناه المتداول يبيّن أنّ «عنصر (أ) يدلّ على عنصر (ب) أو ينوب عنه»[3]؛ هذا يعني أنّ الأدلة عناصر إرادية وضعت قصدا لتفيد، وهذا

---

[1] _ ينظر: عبد الحميد عبد الواحد: الكلمة في اللّسانيات الحديثة، مؤسّسة حورس الدّولية، الإسكندرية، ط1، 2016م، ص20.

[2] _ خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م، ص 18-19.

[3] _ المرجع نفسه، ص 18.

الوضع تمّ بالتّواطؤ والاصطلاح؛ أي التّواضع بين جماعة من النّاس لغرض واحد هو التّبليغ، فهي أصوات يستعملها الإنسان للإبانة عن المفاهيم والأشياء[1]، وقد تكون علامات غير لسانية كدلالة العَلَم الأحمر على الخطر في نظام السّباحة مثلا. كما أنّ قوانين المرور عندما وضعت، كانت غايتها الأساسية قيامها بوظيفة معينة، وهي تنظيم حركة المرور، وكذلك هي الحال بخصوص أرقام السّيارات والهاتف ورموز المورس.

كما عُرّف **الرّمز** من جهة ثانية بكلّ ما أخفي من الكلام وعبّر عنه بإشارة مفهومة، فيكون بذلك مكان الكلام، وندلّل على ذلك بقوله عزّ مقامه: ﴿**أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا**﴾ [آل عمران: 41] فالرّمز هنا بديل استدعى دلالة عند التّواصل مع الآخرين بغياب الكلام.

والرّمز نوعان نوع لفظيّ يراد به الكلمة أو اللّفظ لأنّها رموز لغوية ذات معان، وأمّا النوع الآخر فهو الرّمز المعنوي وهو الإشارة المُفهمة في اصطلاح القدماء والذي تحدّث عنه ابن جنّي (ت 392هـ) بقوله: «أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على ما في النّفوس وعلى ذلك قالوا (رُبَّ إِشَارَةٍ أَبْلَغُ مِنْ عِبَارَة)» [2]، وهذا يعني أن الحركة وملامح الوجه، وزاوية النّظر كلها رموز للتّعبير فيما عدا الكلام.

وأما الإشارة فتكون على نوعين؛ **طبيعية** كدلالة الغيم على المطر، **وصناعية** مثل: الرّسومات والخرائط وغيرها.

ثانيا: العلامة اللغوية عند فرديناند دوسوسير (saussure)[*] : يرى دي سوسير أن العلامة اللغوية ما هي إلا علاقة قائمة بين دال ومدلول؛ باحثا في طبيعة هذه العلامة، فهي عنده ذات

---

[1] _ حولة طالب الإبراهيمي: المرجع السّابق، ص 20.

[2] _ ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية –القاهرة، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ج1، ص 47.

[*]–ولد في جنيف سنة 1857م من عائلة مثقّفة، كان مهتمّا باللغات القديمة كالإغريقية واللاتينية والسّنسكريتية. درس في جامعة "لايبزغ" بألمانيا منكبّاً على دراسة اللغة والنّحو سنة 1876م، وأثناء هذه الفترة نشر مقالات في اللّغة، وفي عام 1879 أعدّ أطروحة منكبا على دراسة اللغة والنحو سنة 1876، وأثناء هذه الفترة نشر مقالات في اللغة وفي عام 1879 أعدّ أطروحة للدكتوراه حول الإضافة في اللغة السنسكريتية. عمل أستاذا في علم اللغة العام سنة 1907 في جنيف. وتواصلت مقالاته وأبحاثه فضلا عن محاضراته التي قدّمها في هذه الجامعة بن سنتي 1907-1911، وعندما توفيّ سنة 1913 م قرّر اثنان من تلامذته، وهما تشارلز بالي Bally و "إلبيرت شيهاي" جمع تلك المقالات وتحريرها ونشرها في كتاب سنة 1916 م بعنوان: محاضرات في علم اللغة العام، الذي تُرجم إلى الرّوسية والإنجليزية والألمانية.

طبيعية **ثنائية:** «**مادّية** يمثّلها الصّوت المسموع، **ونفسية:** يمثلها المعنى الذي يرتسم في الذّهن أو يستدعى في العقل والذّهن عند سماع الصّوت»[1]؛ هذا يعني أنّ الصّوت هو صورة للفظ المسموع، بينما يكون المعنى غائبا يستدعيه الصّوت، وتبعا لذلك تتحقق الدّلالة التي هي محصّلة الارتباط السّيكولوجي بين الدّال (الإشارة) والمدلول (المشار إليه).

ولعلّ أهمّ خاصية ألمع إليها **دي سوسير** بخصوص العلامة اللّسانية هي العشوائية أو الاعتباطية (Arbitrary) أي أنّه لا يوجد ارتباط مادّي حقيقيّ، أو علاقة سببية تجمع بين الكلمة المنطوقة والمعنى الذي تدل عليه[2]. إنّما العلاقة بين الدّال والمدلول نشأت بالمصادفة، لكنّها تطوّرت مع الاستعمال المتكرّر إلى شيء من الإلحاق. ودليل ذلك أنّ الكلمة الواحدة تطلق على أكثر من شيء؛ فالعين في العربية تطلق على عضو البصر لدى الإنسان، وعلى نبع الماء، والجاسوس.

ولو كانت ثمّة علاقة مادّية أو سببية بين الإشارة اللّغوية ومعناها، لوجب أن تُسمّى الأشياء المشتركَة في اللّغات باسم واحد. فالشجرة في العربية تسمّى (tree) بالإنجليزية، و(Arbre) في الفرنسية. مما يدلّ على أنّ الأصوات التي تتألف منها الكلمة لا صلة لها بالمعنى.

كما أنّ العلامة اللّسانية أو الدّليل اللّساني عند دي سوسير «لا تربط شيئاً باسمٍ بل تصوّرا بصورة سمعية»[3]؛ فهذان العنصران (التّصوّر والصّورة السّمعية)، أو الدّال والمدلول شديدا الارتباط، يستدعي وجود أحدهما وجود الآخر؛ الأوّل منهما هو التّرابط الأكثر تجريدا، بينما الثّاني ليس هو الصّوت المادّي الذي يُسمع، بل هو الدّفع النّفسي لهذا الصّوت، إذ بوسع الإنسان أن يتحدّث إلى نفسه، كما يمكنه أن يستظهر ذهنيا مقطعا شعريا من غير تحريك لشفتيه.

فالعلامة اللّسانية إذن، هي كيان نفسيّ ذو وجهين؛ تصوّر وصورة سمعية، لا يمكن الفصل بينهما.

وإضافة إلى الخاصّية الاعتباطية توجد خصائص أخرى للعلامة اللّسانية لخّصتها خولة طالب الإبراهيمي في نقطتين[4]:

---

[1] _ إبراهيم محمود خليل: في اللّسانيات ونحو النّص، دار المسيرة، عمان-الأردن، ط3، 2015، ص 21.

[2] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

[3] _ دي سوسير فردينان: محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، المؤسّسة الجزائرية للطّباعة، الجزائر، 1986م، ص 88.

[4] _ ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: المرجع السابق، ص 22.

-**تتسلسل في ظهورها تسلسلا زمنيا**: أي أنّ العلامة اللّسانية ذات بعد خطّي، أي تسير في خطّ الزّمن، وهو يسمّى عند أهل الاختصاص مدرّج الكلام.

-**هي كيان تفاضليّ سلبيّ**: إذ إنّها تنتمي إلى نظام اللّغة المعيّنة، ولا تكتسب قيمتها إلاّ عند تقابلها مع أدّلة أخرى تنتمي إلى النظام نفسه.

نستنتج مما سبّق ذكره أنّ العلامة اللّغوية هي ذات طبيعة مركبة، وهي توليفة من الشّكل الصّوتي الذي يشار إلى المعنى وهو الدال (signifiant) والمعنى نفسه وهو المدلول (signifie)[1]. ودليل دي سوسير في طبيعة العلاقة الاعتباطية القائمة بين هذين العنصرين (الدال والمدلول) هي أنّ فكرة (أخت)، لا ترتبط بأيّة علاقة داخلية مع تعاقب الأصوات المشكّلة للدّال: (أ-خ-ت) إذ يمكننا تمثيل هذه الفكرة بتعاقب صوتيّ آخر مثل: (sister)و(sœur) وهذا يؤكد لنا عدم وجود أية صلة طبيعية بين ثنائية الدال والمدلول.

ثالثا: العلامة اللّسانية عند بيرس (pierce):

تشير أبحاث السّيمولوجيا إلى أنّ العلامة اللسانية «تتألّف من شيء يقوم مقام شيء آخر»[2]. وهذا لتعبّر عن شيء ثالث، ومن هنا فهي تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي:

-**المستوى الظاهر من القول**؛ ويدخل في مجال التّعبير.

-**المستوى الضّمني للقول**؛ أي ما يدخل مجال المعنى.

-**مستوى ما يحيل عليه القول**؛ ممّا يوجد في الواقع ويدخل مجال المرجع.

وبهذا جاء تعريفها عند بيرس بقوله: «العلامةُ هي أوّلٌ يُنْشَئ مع ثَانٍ يسمّى موضوعُه علاقة ثلاثية تبلغ من أصالتها أنّها تحمل ثالثا يسّمى مفسّر العلامة على أن يحقّق مع موضوعِه نفس العلاقة الثلاثية التي يحقّقها هو نفسه مع الموضوع ذاته»[3] نستنتج من المقولة السّابقة أنّ العلامة عند بيرس تتألف من عناصر ثلاثة هي[4]:

---

[1] _ ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2009م، ص 74.

[2]-Umberto Eco : Sémiotique et philosophie du language, paris, puf 1988, p :40.

[3] _ Charles. s.pierce :Écrits sur le signe, paris, seuil, 1978,p :147.

نقلا عن: ألفة يوسف: تعدّد المعنى في القرآن، دار سحر للنشر، كلية الآداب، منوبة، تونس، ط1، 2003م، ص 6.

[4] _ ينظر: ألفة يوسف: المرجع نفسه، ص 6-7.

1-الممثّل (**Représentâmen**): هو العنصر الظاهر في القول، يتجسّم حسّيا في الصّوت أو الكتابة.

2-الموضوع (**L'objet**): وهو ما تقوم مقامه العلامة. أي الشيء كما هو موجود على أرض الواقع؛ أي كلّ المحسوسات الموجودة الآن، والتي وُجدت سابقا، أو ستوجد لاحقا. فكلمة **(أسد)** هي كلّ حيوان عرف بهذا الاسم ووجد فعلا في أرض الواقع.

وقد يكون هذا الموضوع غير محسوس موجود في الواقع؛ مثال ذلك أنماط السّلوك الإنساني والعلاقات المختلفة والتصورات المتعدّدة التي تظهر في الواقع عبر أشكال تجسّم كثيرة. فمفهوم المحبة، الحرية، الأمل تختلف من شخص إلى آخر تبعا لطريقة فهمه لموضوع هذه الأفكار.

3-المفسَّر (**L'interprétant**) هي الأفكار التي تولد في الذّهن، أي المعنى الذي من أبرز خصائصه «أنّه غائب فهو ليس ملموسا ولا ظاهرا إذ لا يظهر مباشرة بل عبر علاقة أخرى»[1].

فتفسيرنا لعلامة لغوية ما وبيان معناها يُحلينا على تقديم علامة جديدة تفسّرها هي (المفسّر). فالمفسّر إذن هو كل ما تتضمنه العلامة اللغوية من معنى يمكن تفسيره، وعليه تم تلخيص العلامة في هذا المثلّث:

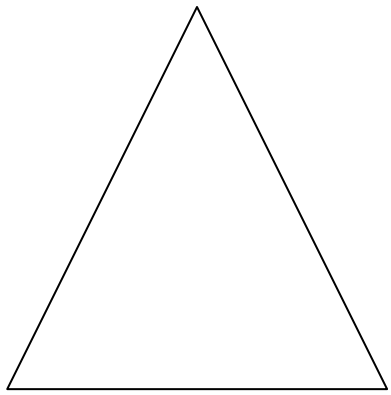

[1] _ ينظر: ألفة يوسف: المرجع السّابق، ص 7.

فالموضوع يقابله **المرجع** «وهو كلّ شيء مهما كان واقعيا أو متخيلا يحيل المؤوّل الممثّل عليه» [1]، أمّا **المؤوِّل** فهو عبارة عن علامة تحيل على موضوع معين، فكلمة (The door) في الانجليزية مثلا تحيل على الموضوع نفسه إذا ترجمناها إلى (La porte) الفرنسية. بينما حُدّد **الممثّل** بأنّه «العلامة حينما تظهر يحيلها المؤوّل على الموضوع الذي تمثله» [2]، وهذا يتحقّق عن طريق التّفسير على وجه التّحديد.

[1]-جيرار دولودال، جوويل ريطوري: التحليل السّيميوطيقي للنّص الشعري، ترجمة : عبد الرحمن بوعلي، عشتار للطباعة و النّشر، تونس، ط2، 1988، ص17.

[2] -المرجع نفسه، ص18.